

شرح أصول الكافي

[170] الكمية والكيفية وليس الأمر ههنا كذلك إذ هذا النقد لا قدر له أصلا ولا وزن له قطعاً عند هذه النسبة على أن أصحاب الإيمان وأرباب العرفان لكثرة عبادتهم وشدة رياضتهم يجدون نقداً من الفيوضات الإلهية والإشراقات الربانية مالا يرضون بعوض واحد منها أخذ الدنيا وما فيها. (يا هشام إن العقلاء زهدوا في الدنيا) وأعرضوا عن حطامها وزهراتها الفانية وطهروا ساحة قلوبهم عن طول الأمل ولوث العوائق وقطعوا عن رقاب نفوسهم زمام التمني وحبل العلائق (ورغبوا في الآخرة) وطلبوا ثوابها باستعمال العبادات واستكمال الطاعات واجتهدوا في الوصول إلى أشرف المنازل وأرفع المقامات فتاهت أوراخهم في مطالعة الملك والملوك، وكشفت لهم حجب العز والجبروت، وخاضوا في بحر اليقين، وتنزهوا في رياض المتقين، وركبوا سفينة التوكل وأقلعوا بشراع التوسل، وساروا بريح المحبة في جداول قرب الغرة وحطوا بشاطئ الإخلاص (1) حتى نزلوا في ساحة الجلال ومنزل الاختصاص. (لأنهم علموا أن الدنيا طالبة) لمن فيها لتوصل إليه ما عندها من رزقه المقدر وقوته المقرر (مطلوبة) يطلبها أهلها حرصاً في جميع ما لا يحتاج إليه وذخراً ما يكون نفعه لغيره وضرة عليه (والآخرة طالبة) لمن في الدنيا لتؤتيه ما عندها من وقته المقرر وأجله المقدر، إذا لأجل مثل الرزق مكتوب مقدر (ومطلوبة) يطلبها أهلها للوصول إلى أشرف درجاتها وأرفع طبقاتها بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، وفي ترك عطف " مطلوبة " على " طالبة " في الأول وعطفها في الثاني تنبيه على أن المتحقق من نسبة الطالبة والمطلوبة إلى الدنيا والواقع منهما في نفس الأمر هو المطلوبة بناء على أن النفي والإثبات في الكلام راجعان إلى القيد كما هو المقرر في العربية ووجه ظاهر لظهور أن الناس كلهم إلا من شذ طالبون للدنيا بخلاف نسبتها إلى الآخرة، فإن طالبيتها أيضاً متحققة في نفس الأمر هذا إن جعلت " مطلوبة " صفة " ل طالبة " وقيدا لها وإن جعلت خبراً بعد خبر كما هو الأنسب بالقرينة الثانية فالوجه في ترك العطف هو الإيماء إلى كمال اتصال مطلوبة الدنيا بطالبيتها، ونهاية ربطها بها، وعدم افتراقها عنها باعتبار أن الدنيا في الواقع مطلوبة لكل فلا حاجة هنا إلى رابطة مستفادة من العطف بخلاف مطلوبة الآخرة فإنه لا اتصال بينها وبين طالبيتها لوقوع الافتراق بينهما باعتبار قلة طلب الآخرة فاحتيج في ربط إحداهما بالآخرى إلى العطف هكذا فافهم، ثم الطالبة والمطلوبة في كل واحدة من الدنيا والآخرة يمكن أن تتصور على وجهين أحدهما أن كل واحدة من الدنيا والآخرة متصفة بهما مع قطع النظر عن الأخرى، وثانيهما أن كل واحد منهما _____ 1 - وحطوا أي انزلوا رجالهم والدنيا

لا تطلب الا بالوهم فانها مال وجاه ورياسة وغلبة وتلذذ وأمثال ذلك من القوة الواهمة
والعقل معارض لها (ش). (*)
